كلية : الآداب

القسم او الفرع : اللغة العربية

المرحلة: الثالثة

أستاذ المادة : أ.م.د. نهاد فخري محمود

اسم المادة باللغة العربية : النقد الأدبي القديم

اسم المادة باللغة الإنكليزية : Old Criticism

اسم المحاضرة الأولى باللغة العربية: النقد الأدبي عند عبد القاهر الجرجاني

اسم المحاضرة الأولى باللغة الإنكليزية: Literary criticism at Abdul-Qaher Al-Jurjani

مقرر الفصل الثاني

النقد الأدبي عند عبد القاهر الجرجاني

هو الإمام عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي الكبير والمتكلم الأشعري والفقيه الشافعي، نشأ في جرجان، وهناك أخذ النحو عن أبي الحسين الفارسي، توفي سنة (٤٧١هـ).

- **الفكر النقدية عند عبد القاهر الجرجاني**

يعدُّ عبد القاهر بلاغيًا قليل النظير في تأريخ البلاغة العربية، وناقدًا أدبيًا إذ برزت في كتابيه فكرتان لاغنى لدارس النقد العربي القديم عنهما، وهما التصوير الفني، والنظم، وقد بنى على أولاهما كتابه (أسرار البلاغة) في حين جعل الثانية في (دلائل الاعجاز).

أولاً:- التصوير الفني للمعاني:

يؤكد الجرجاني أنّ المعاني هي المرادةُ من الكلام، وأنَّ الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة ليست إلاّ اوصافًا للكلام حين يكون حسن الدلالة تامَّها، وقد أوضح بجلاء أنّ كلَّ ما أتى به في (أسرار البلاغة) ليس القصد منه سوى بيان أمر المعاني (واعلم أن غرضي من هذا الكلام ... أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني، كيف تختلف وتتفق...).

ورأى أنَّ المعاني ليست على حالٍ واحدةٍ، فبعضها شريف في ذاته، كالذهب الذي تختلف عليه الصور وتتعاقب عليه الصناعات، ومنها ما هو بحاجة إلى التصوير، فإذا ما نُزعت عنه صورتُه بدا في غاية القبح، وشبَّه هذه المعاني بالطينة الخالية من التشكيل سقطت قيمتها وانحطت رتبتها.

سنقصر الحديث على ضروب الجمال التي رأى عبد القاهر أن التصوير يُحدثها في المعاني، وذلك في نوعين من أنواع الصور البيانية: الاستعارة، والتمثيل.

أولاً:- الاستعارة وحال المعاني معها

عرف عبد القاهر الاستعارة قائلًا: (اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون اللفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعاريّة).

قسّم عبد القاهر الاستعارة على قسمين:-

١-استعارة غير مفيدة: وذلك حين ((يكون اختصاص الاسم بما وضع له من طريق أريد به التوسع في أوضاع اللغة والتنوّق في مراعاة دقائق الفروق في المعاني المدلول عليها) ويمثّل لذلك باستعارة (المَرْسِن) وهو في الأصل موضع الرَّسن من أنف الدابة، لأنف المرأة، وذلك في قول العجاج:

ومقلـــــــةً وحاجبـــــــاً مزججـــــــاً وفاحمـــــاً ومَرسِـــــناً مســـــرّجًا

إذ يصف الفتاة فيذكر شعرها الشديد السواد (فاحماً)، وأنفها الذي يبرق كالسراج (مرسناً مسرّجاً)، وقد استعمل المرسن للمرأة وهو موضع للحيوان.

٢-استعارة مفيدة: رأى عبد القاهر أن اللفظة التي تدخلها الاستعارة المفيدة تكون اسماً أو فعلاً.

وللاسم المستعار حالات:

أ- أن ينقل من مسماه الاصلي إلى مسمى آخر ثابت معلوم.
كقولك: رأيت أسداً. تريد (رجلاً) شجاعاً.

ب- أن تنسب للشيء شيئاً لا يكون له أصلاً. كقول لبيد:

وغـــداةِ ريـــحٍ قَـــدْ وزعـــتُ وَقَـــرَّةٍ إذ أصْـــبَحَتْ بِيَـــدِ الشَّـــمالِ زمامُهـــا

وذلك أنه جعل للشمال يداً متصرِّفة.

أما الفعل الاستعاري فرأى أنَّه يثبت المعنى الذي اشتق منه للشيء الذي استعير له في الزمان الذي تدل عليه صيغته.

فإذا قلت: ضرب زيدٌ، أثبتَّ الضرب لزيد في زمان ماضٍ، فاذا استعير الفعل ما ليس له في الأصل، فانه يثبت باستعارته له وصفاً هو شبيه بالمعنى، كقولنا: ((نطقت الحال بكذا)) و ((أخبرتني أسارير وجهه بما في ضميره)) و ((كلمتني عيناه بما يحوي قلبه)).

الصورة الاستعارية وأثرها في تحسين المعنى

عني الجرجاني كثيراً بالاستعارة وذلك لقدرتها على تحسين المعاني بما تضفي عليها من ألوان الصياغة الرائعة، فضلاً عن عدة أمور اسهمت الاستعارة في تمثيلها.

١-إضفاء طابع الجدّة والفخامة على المعاني.

يقول الجرجاني: ((ومن الفضيلة الجامعة فيها أنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة، تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً، وإنَّك لتجد اللفظة الواحدة قد اكتسبت بها فوائد، حتى تراها مكررة في مواضع، ولها في كلَّ واحدٍ من تلك المواضع شأن مفرد، وشرف منفرد)).

٢-تقديم كثير المعنى بقليل اللفظ.

يقول: ((ومن خصائصها التي تذكر بها، وهي عنوان مناقبها، أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تُخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر)).

٣-إضفاء عنصر الحياة على الاشياء.

يقول: ((فإنك لترى بها الجماد حيّاً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مُبينةً)).

٤-تجسيم اللطيف من المعاني.

يقول: ((إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون)).

ثانياً: التمثيل.

يقول الجرجاني: ((واعلم أنّ مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني ... كساها أبّهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها...)). انظر إلى قول البحتري:

دانٍ علـــى أيْـــدِي العُفَـــاةِ وشاسِـــعٌ عـن كـلِّ نِـدَّ فـي النَّـدى وضَـريبِ

كالبـــدرِ أفْـــرَطَ فـــي العُلُـــوِّ، وضـــوؤه للعُصْـــبَةِ السَّـــارين جـــدُّ قريـــبِ

مما جعل منه الشيء قريبًا بعيدًا معًا.

خصائص التصوير التمثيلي:

١-أُنْسُ النفس بالعلم الحسي لما فيه من قوة واستحكام.

٢-أُنْسُ النفس بالمعنى الحسي لطول أُلفتِها إياه.

٣-استحسان النفس التصوير التمثيلي الذي يجمع بين المتباعدين، كقول الشاعر:

أنـا نـارٌ فـي مرتقـى نظـر الحـا سِدِ، مـاءٌ جارٍ مـع الإخـوانِ

٤-أُنْسُ النفس بالمعنى الذي تحصيله بعد تطلب واشتياق. يقول عبد القاهر الجرجاني: ((ومن المركوز في الطبع، أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمزيّة أولى ...)).